

## المحاضرة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العلمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدا محمد وعلى اله الطيبين واصحابه اجمعين

نتحدث في هذه المحاضرة عن علوم مهمة من علوم القرآن الكريم وهي :

١- اسماء القرآن واوصافه

٢- نزول القرآن الكريم

٣- تنزلات القرآن وكيفياتها والحكمة منها

٤- ظاهرة الوحي

٥- اول واخر ما نزل من القرآن

٦- تنجيم القرآن الكريم والحكمة منه

## اسماء القرآن واوصافه

اعلم أنَّ كثرة الأسماء تدلّ على شرف المسمّى، أو كماله في أمر من الأمور. أما ترى أن كثرة أسماء (الأسد دلّت على كمال قوّته، وكثرة أسماء القيامة دلّت على كمال شدته وصعوبته، وكثرة أسماء الداهية دلّت على شدة نكابتها. وكذلك كثرة أسماء الله تعالى دلّت على كمال جلال عظمته؛ وكثرة أسماء النبي صلى الله عليه وسلم دلّت على علوّ رتبته، وسموّ درجته. وكذلك كثرة أسماء القرآن دلّت على شرفه، وفضيلته.

وقال الفيروز ابادي " وقد ذكر الله تعالى للقرآن مائة اسم " وقال القاضي أبو المعالي عزيزى بن عبد

الملك رحمه الله اعلم أن الله تعالى سمى القرآن بخمسة وخمسين اسما ، اعلم أن أسماء القرآن كثيرة :

١- أحدها : الكتاب وهو مصدر كالقيام والصيام ، وانفقوا على أن المراد من الكتاب القرآن قال :

{كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ}

٢- وثانيها : القرآن {قُلْ لَّإِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ} (الإسراء : ٨٨) {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا} (الزخرف : ٣) {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ} (البقرة : ١٨٥).  
{إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} (الإسراء : ٩)

٣- وثالثها : الفرقان {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ} (الفرقان : ١). {وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ} (البقرة : ١٨٥)

٤- ورابعها : الذكر ، والتذكير ، والذكرى ، أما الذكر فقوله : {وَهَٰذَا نِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ} (الأنبياء : ٥٠) {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ} (الحجر : ٩). {وَأَنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ} (الزخرف : ٤٤) التذكير فقوله : {وَأَنَّهُ لَتَذَكُّرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ} (الحاقة : ٤٨) وأما الذكرى فقوله تعالى : {وَذَكَّرَ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} (الذاريات : ٥٥).

٥- وخامسها : التنزيل {وَأَنَّهُ لَتَنْزِيلٌ رَّبِّ الْعَالَمِينَ} \* نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ} (الشعراء : ١٩٢ . ١٩٣).

٦- وسادسها : الحديث {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا} (الزمر : ٢٣) سماه حديثاً ؛ لأن وصوله إليك حديث ، ولأنه تعالى شبهه بما يتحدث به ، فإن الله خاطب به المكلفين .

٧- وسابعها : الموعظة {تُرْجَعُونَ} \* يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ} (يونس : ٥٧) وهو في الحقيقة موعظة لأن القائل هو الله تعالى ، والآخذ جبريل ، والمستملي محمد صلى الله عليه وسلم ، فكيف لا تقع به الموعظة .

٨- وثامنها : الحكم ، والحكمة ، والحكيم ، والمحكم ، أما الحكم فقوله : {وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا} (الرعد : ٣٧) وأما الحكمة فقوله : {حِكْمَةً بَالِغَةً} (القمر : ٥) {وَأَذَكُرْنَ مَا يُبْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ} (الأحزاب : ٣٤) وأما الحكيم فقوله : {يَس} \* وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ} (يس : ١ ، ٢) وأما المحكم فقوله : {كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ} (هود : ١). واختلفوا في معنى الحكمة ، فقال الخليل : هو مأخوذ من الأحكام والإلزام/ وقال المؤرخ : هو مأخوذ من حكمة اللجام ؛ لأنها تضبط الدابة ، والحكمة تمنع من السفه .

٩- وتاسعها : الشفاء {وَأُنزِلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} (الإسراء : ٨٢) وقوله : {وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ} وفيه وجهان : أحدهما : أنه شفاء من الأمراض. والثاني : أنه شفاء من مرض الكفر ، لأنه تعالى وصف الكفر والشك بالمرض ، فقال : {فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ} (البقرة : ١٠) وبالقرآن يزول كل شك عن القلب ، فصح وصفه بأنه شفاء.

١٠- وعاشرها : الهدى ، والهادي : أما الهدى فلقوله : {هُدًى لِّلْمُنْتَفِعِينَ} (البقرة : ٢). {هُدًى لِّلنَّاسِ} (آل عمران : ٤ ، الأنعام : ٩١). {وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} (يونس : ٥٧) وأما الهادي {إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} (الإسراء : ٩) وقالت الجن : {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا \* يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ} .

١١- الحادي عشر : الصراط المستقيم : قال ابن عباس في تفسيره : إنه القرآن ، وقال : {وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ} .

١٢- والثاني عشر : الحبل : {وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا} (آل عمران : ١٠٣) في التفسير : إنه القرآن ، وإنما سمي به لأن المعتصم به في أمور دينه يتخلص به من عقوبة الآخرة ونكال الدنيا ، كما أن المتمسك بالحبل ينجو من الغرق والمهالك ، ومن ذلك سماه النبي صلى الله عليه وسلم عصمة فقال : "إن هذا القرآن / عصمة لمن اعتصم به" لأنه يعصم الناس من المعاصي.

١٣- الثالث عشر : الرحمة {وَأُنزِلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} (الإسراء : ٨٨) وأي رحمة فوق التخليص من الجهالات والضلالات.

١٤- الرابع عشر : الروح {وَوَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا} (الشورى : ٥٢). {يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ} (النحل : ٢) وإنما سمي به لأنه سبب لحياة الأرواح ، وسمي جبريل بالروح {فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا} (مريم : ١٧) وعيسى بالروح {الْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ} (النساء : ١٧١).

١٥- الخامس عشر : القصص {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ} (يوسف : ٣) سمي به لأنه يجب اتباعه {وَقَالَتْ لِأَخْتِهِ فَصِيهِ} (القصص : ١١) أي اتبعي أثره ؛ أو لأن القرآن يتتبع قصص المتقدمين ، ومنه قوله تعالى : {إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ} (آل عمران : ٦٢).

١٦- السادس عشر : البيان ، والتبيان ، والمبين : أما البيان فقولهُ : {هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ} (آل عمران : ١٣٨) والتباني هو قولهُ : {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ} (النحل : ٨٩) وأما المبين فقولهُ : {تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ} (يوسف : ١).

١٧- السابع عشر : البصائر {هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَّبِّكُمْ} (الأعراف : ٢٠٣) أي هي أدلة يبصر بها الحق تشبيهاً بالبصر الذي يرى طريق الخلاص.

١٨- الثامن عشر : الفصل {إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ \* وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ} (الطارق : ١٣ ، ١٤) واختلفوا فيه ، فقيل معناه القضاء ، لأن الله تعالى يقضي به بين الناس بالحق قيل لأنه يفصل بين الناس يوم القيامة فيهدي قوماً إلى الجنة ويسوق آخرين إلى النار ، فمن جعله إمامه في الدنيا قاده إلى الجنة ، ومن جعله وراءه ساقه إلى النار.

١٩- التاسع عشر : النجوم {فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ} (الواقعة : ٧٥) {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى} (النجم : ١) لأنه نزل نجماً نجماً.

٢٠- العشرون : المثاني : {مَثَانِي تَفْشَعُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ} (الزمر : ٢٣) قيل لأنه ثنى فيه القصص والأخبار.

٢١- الحادي والعشرون : النعمة : {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} (الضحى : ١١) قال ابن عباس يعني به القرآن.

٢٢- الثاني والعشرون : البرهان {قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ} (النساء : ١٧٤) وكيف لا يكون برهاناً وقد عجزت الفصحاء عن أن يأتوا بمثله.

٢٣- الثالث والعشرون : البشير والندير ، وبهذا الاسم وقعت المشاركة بينه وبين الأنبياء قال تعالى في صفة الرسل : {مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ} (النساء : ١٦٥ ، الأنعام : ٤٨) وقال في صفة محمد صلى الله عليه وسلم : {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا} (الفتح : ٨) وقال في صفة القرآن في حم السجدة {بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ} (فصلت : ٤) يعني مبشراً بالجنة لمن أطاع وبالنار منذراً لمن عصى ، ومن ههنا نذكر الأسماء المشتركة بين الله تعالى وبين القرآن.

٢٤- الكَرِيمُ {إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ \* فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ} (الواقعة : ٧٧) واعلم أنه تعالى سمي سبعة أشياء بالكريم {مَا عَزَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} (الانفطار : ٦٠) إذ لا جواد إحد منه ، والقرآن بالكريم ، لأنه لا يستفاد من كتاب من الحكم والعلوم ما يستفاد منه ، وسمي موسى كريماً {وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ} (الدخان : ١٧) وسمي ثواب الأعمال كريماً {فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ} (يس : ١١) وسمي عرشه كريماً {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} (النمل : ٢٦) لأنه منزل الرحمة ، وسمي جبريل كريماً {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ} (التكوير : ١٩) ومعناه أنه عزيز ، وسمي كتاب سليمان كريماً {إِنِّي أُفِيءُ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ} (النمل : ٢٩) فهو كتاب كريم من رب كريم نزل به ملك كريم على نبي كريم لأجل أمة كريمة ، فإذا تمسكوا به نالوا ثواباً كريماً.

٢٥- العظيم : {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ} (الحجر : ٨٧) اعلم أنه تعالى سمي نفسه عظيماً فقال : {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} (البقرة : ٢٥٥) وعرشه عظيماً {وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} (التوبة : ١٢٩) وكتابه عظيماً {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ} (الحجر : ٨٧) ويوم القيامة عظيماً {لِيَوْمٍ عَظِيمٍ \* يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} (المطففين : ٥ ، ٦) والزلزلة عظيمة {إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ} (الحج : ١) وخلق الرسول عظيماً {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} (القلم : ٤) والعلم عظيماً {وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا} (النساء : ١١٣) وكيد النساء عظيماً {إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ} (يوسف : ٢٨) وسحر سحرة / فرعون عظيماً {وَجَاءَهُمْ بِسِحْرِ عَظِيمٍ} (الأعراف : ١١٦) وسمي نفس الثواب عظيماً {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ} (الفتح : ٢٩) وسمي عقاب المنافقين عظيماً {وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (البقرة : ٧).

٢٦- المبارك : {وَهَذَا نِكْرٌ مُّبَارَكٌ} (الأنبياء : ٥٠) وسمي الله تعالى به أشياء ، فسمي الموضع الذي كلم فيه موسى عليه السلام مباركاً {فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ} (القصص : ٣٠) وسمي شجرة الزيتون مباركة {يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ} (التوبة : ٣٥) لكثرة منافعها ، وسمي عيسى مباركاً {وَجَعَلْنِي مُبَارَكًا} (مريم : ٣١) وسمي المطر مباركاً {وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا} (ق : ٩) لما فيه من المنافع ، وسمي ليلة القدر مباركة {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ} (الدخان : ٣) فالقرآن ذكر مبارك أنزله ملك مبارك في ليلة مباركة على نبي مبارك لأمة مباركة.

٢٧- القيم {قِيَمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا} (الكهف : ٢) والدين أيضاً قيم {ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيَمُ} (التوبة : ٣٦) والله سبحانه هو القيوم {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} (البقرة : ٢٥٥ ، آل عمران : ٢) وإنما سمي قيماً لأنه قائم بذاته في البيان والإفادة.

٢٨- المهيمين {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ} (المائدة : ٤٨) وهو مأخوذ من الأمين ، وإنما وصف به لأنه من تمسك بالقرآن أمن الضرر في / الدنيا والآخرة ، والرب المهيمين أنزل الكتاب المهيمين على النبي الأمين لأجل قوم هم أمناء الله تعالى على خلقه كما قال : {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} (البقرة : ١٤٣).

٢٩- الهادي {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} (الإسراء : ٩) وقال : {يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ} (الجن : ٢) والله تعالى هو الهادي لأنه جاء في الخبر "النور الهادي".

٣٠- النور {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} (النور : ٣٥) وفي القرآن {وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ} (الأعراف : ١٥٧) يعني القرآن وسمي الرسول نوراً {قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ} (المائدة : ١٥) يعني محمد وسمي دينه نوراً {يُرِيدُونَ لِيُطْفَأُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ} (الصف : ٨) وسمي بيانه نوراً {أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ} (الزمر : ٢٢) وسمي التوراة نوراً {إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ} (المائدة : ٤٤) وسمي الإنجيل نوراً {وَوَقَفْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ} (المائدة : ٤٦) وسمي الإيمان نوراً {يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ} (الحديد : ١٢).

٣١- الحق " والقرآن حق {وَوَاتَّهَ لِحَقِّ الْيَقِينِ} (الحاقة : ٥١) فسماه الله حقاً ؛ لأنه ضد الباطل فيزيل الباطل كما قال : {بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ} (الأنبياء : ١٨) أي ذاهب زائل.

٣٢- العزيز {وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} (الشعراء : ٩ ، ٦٨) وفي صفة القرآن {وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ} (فصلت : ٤١) والنبي عزيز {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ} والأمة عزيزة {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ} (المؤمنين : ٨) فرب عزيز أنزل كتاباً عزيزاً على نبي عزيز لأمة عزيزة ، وللعزيز معنيان : أحدهما : القاهر ، والقرآن كذلك ؛ لأنه هو الذي قهر الأعداء وامتنع على من أراد معارضته. والثاني : أن لا يوجد مثله.

## نزول القرآن الكريم

هذا مبحث مهم من مباحث تاريخ القرآن بل هو أهم مباحثه جميعا لأن العلم بنزول القرآن أساس للإيمان بالقرآن وأنه كلام الله وأساس للتصديق بنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم وأن الإسلام حق. ثم هو أصل لسائر المباحث الآتية بعد في علوم القرآن

ولكي تكون الصورة واضحة وليس فيه لبس واشكال نعرف النزول لغة فنقول ،جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس " (نزل) النون والزاء واللام كلمةٌ صحيحة تدلُّ على هُبوب شيءٍ ووقوعه. ونَزَلَ عن دابَّتِه نُزُولًا. ونَزَلَ المطرُ من السَّمَاءِ نُزُولًا. والنَّازِلَةُ: الشَّديدة من شدائد الدهر تنزل. والنَّزَال في الحرب: أن يتنازل الفريقان "

الفرق بين الانزال والتنزيل : قال بعض المفسرين: الانزال: دفعي، والتنزيل: للتدرج

تنزلات القرآن وكيفياتها والحكمة منها

في كيفية أنزاله

قَالَ تَعَالَى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ} وَقَالَ: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}

واختلف في كيفية الإنزال على ثلاثة أقوال

أحدها أنه نزل إلى سماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة ثم نزل بعد ذلك منجما في عشرين سنة أو في ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين على حسب الاختلاف في مدة إقامته بمكة بعد النبوة

والقول الثاني أنه نزل إلى سماء الدنيا في عشرين ليلة قدر من عشرين سنة وقيل في ثلاث وعشرين ليلة قدر من ثلاث وعشرين سنة وقيل في خمس وعشرين ليلة قدر من خمس وعشرين سنة في كل ليلة ما يقدر سبحانه إنزاله في كل السنة ثم ينزل بعد ذلك منجما في جميع السنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

والقول الثالث أنه ابتدئ إنزاله في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك منجما في أوقات مختلفة من سائر الأوقات

القول الرابع : هو أنه نزل من اللوح المحفوظ جملة واحدة وأن الحفظة نجمته على جبريل في عشرين ليلة وأن جبريل نجمه على النبي صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة

والقول الرابع هو القول الأول لأنه الأشهر والأصح وإليه ذهب الأكثرون ويؤيده ما رواه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس قال أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين وبالثاني قال مقاتل والإمام أبو عبد الله الحلبي في المنهاج والماوردي في تفسيره وبالثالث قال الشعبي وغيره

#### مدة نزول القرآن

اختلف العلماء في تحديد مدة نزول القرآن الكريم على الرسول صلى الله عليه وسلم على أقوال:

١- أنها ثمانى عشرة سنة. روي هذا القول غير المشتهر عن الحسن. وأنه كان يقول ذكر لنا أنه كان بين أوله وآخره ثمانى عشرة سنة. وأنه أنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم ثمانى سنين في مكة قبل الهجرة وعشر سنين بعدها .

وهو قول ضعيف ينتج عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم توفي عن ثمان وخمسين سنة وهو ما لم يقل به أحد. ولذا قال ابن عطية عن هذا القول: "وهذا قول مختل لا يصح عن الحسن والله أعلم" .

٢- أنها عشرون سنة: روي عن ابن عباس، وعكرمة، والشعبي وقتادة، واختاره ابن جزى الكلبي.

٣- أنها ثلاث وعشرون سنة. وهو قول الجمهور.

٤- أنها خمس وعشرون سنة. وهو قول من يذهب إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم عاش خمساً وستين سنة خلافاً للمشهور.

ومنشأ هذا الاختلاف هو الخلاف في مدة إقامته صلى الله عليه وسلم بمكة بعد البعثة فقليل: ثمان، وقيل عشر، وقيل ثلاث عشرة، وقيل خمس عشرة سنة. بناء على اختلاف الروايات في ذلك. فإذا أضيف إليها عشر سنين وهي مدة إقامته صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد الهجرة المتفق عليها كما نص على ذلك



ابن كثير حيث قال: "أما إقامته بالمدينة عشرًا فهذا مما لا خلاف فيه.." فينتج عن ذلك الأقوال السابقة.

كما يعود هذا الاختلاف - أيضاً - إلى اختلاف الاعتبار الذي يبدأ منه حساب تلك المدة، هل هو من بداية الرؤيا الصادقة، أو من البعثة التي تلاها فتور في نزول الوحي، أو من الرسالة وتتابع الوحي بعد ذلك.

يضاف إلى ذلك التسامح والتساهل في تحديد الوقت، وجبر الكسور في حساب السنوات. اختصاراً وعادة يقول ابن كثير: "إن العرب كثيراً ما يحذفون الكسور من كلامهم" وكذلك الخلاف في عمره عليه الصلاة والسلام. حيث قيل إنه ستون سنة. وقيل ثلاث وستون، وقيل خمس وستون.

والمعتمد كما يقول ابن حجر أنه صلى الله عليه وسلم عاش ثلاثاً وستين سنة وأن ما ورد مما يخالف ذلك فهو محمول إما على إلغاء الكسر في السنين أو جبر الكسر في الشهور. وأضاف ابن كثير معنى جديداً في الجمع وهو: اعتبار قرن جبريل بالرسول صلى الله عليه وسلم في نزول الوحي حيث روي أنه قرن به عليه السلام ميكائيل في ابتداء الأمر. يلقي إليه الكلمة والشيء ثم قرن به جبريل.

كما أنه بعث صلى الله عليه وسلم على رأس أربعين سنة. كما قال النووي: "اتفقوا أنه صلى الله عليه وسلم أقام بالمدينة بعد الهجرة عشر سنين وبمكة قبل النبوة أربعين سنة وإنما الخلاف في قدر إقامته بمكة بعد النبوة وقبل الهجرة. والصحيح أنها ثلاث عشرة فيكون عمره ثلاثاً وستين وهذا الذي ذكرناه أنه بعث على رأس أربعين سنة هو الصواب المشهور الذي أطبق عليه العلماء".

ومما يشهد لهذا القول ما روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما - قال: "بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأربعين سنة فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستين".

وعن ابن عباس رضي الله عنهما - قال: لبث النبي - صلى الله عليه وسلم - بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن وبالمدينة عشرًا" قال ابن حجر رحمه الله تعالى: "وهذا ظاهره أنه صلى الله عليه وسلم عاش ستين سنة إذا انضم إلى المشهور أنه بعث على رأس الأربعين، لكن يمكن أن يكون الراوي ألغى الكسر" ثم قال: "ويمكن أن يجمع بينه وبين المشهور بوجه آخر وهو أنه بعث على رأس الأربعين فكانت

مدة وحي المنام ستة أشهر إلى أن نزل عليه الملك في شهر رمضان من غير فترة، ثم فتر الوحي، ثم تواتر وتتابع فكانت مدة تواتره وتتابعه بمكة عشر سنين من غير فترة" .

وعلى هذا يظهر أن القول: إن مدة النزول عشرون عامًا أو ثلاثة وعشرون عامًا، كالقول الواحد، وهو الصواب والله أعلم.

## ظاهرة الوحي

### تعريف الوحي لغة:

الوحي " الواو والحاء والحرف المعتلّ: أصلٌ يدلُّ على إلقاء عِلْمٍ في إخفاء أو غيره إلى غيرك. فالوحيّ: الإشارة. والوحيّ: الكتابُ والرّسالة. وكلُّ ما ألقينتهُ إلى غيرك حتّى علمتهُ فهو وحيّ كيف كان " ،والإلهامُ، والكلامُ الخفيّ، وكلُّ ما ألقينتهُ إلى غيرك، والصّوتُ يَكُونُ في النّاسِ وغيرهم " ،وعلى هذا فان أصل الوحي في اللغة إعلام في خفاء ، هو إلقاء المعنى في النفس في خفاء

### أنواعه الوحي بالمعنى اللغوي:

للوحي أنواع بالمعنى اللغوي وأنواع بالمعنى الشرعي وقد يشتركان في بعضها من حيث الكيفية لكنهما يختلفان من حيث الاعتبار، فالوحي بالمعنى الشرعي خاص بالأنبياء عليهم السلام. وأنواعه بالمعنى اللغوي :

١- الإلهام الفطري للإنسان وهو ما يلقىه الله في روح الإنسان السليم الفطرة الطاهر الروح كالوحي إلى أم موسى، قال تعالى: { وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَاِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ }

٢- الإلهام الغريزي للحيوان، كالوحي إلى النحل، قال تعالى: { وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ }

٣- الأمر الكوني للجمادات، قال تعالى: {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا، وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا، وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا، يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا، بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا}

٥- ما يليق به الله إلى ملائكته من أمر ليفعلوه، قال تعالى: {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتَبَيَّنُوا الَّذِينَ آمَنُوا} وقال سبحانه: {فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى} فالإيحاء الأول من جبريل عليه السلام إلى محمد -صلى الله عليه وسلم- والثاني من الله سبحانه وتعالى إلى جبريل عليه السلام. والمعنى: فأوحى جبريل إلى محمد -صلى الله عليه وسلم- ما أوحى الله إليه

٦- الإشارة السريعة بجارحة من الجوارح كإيحاء زكريا عليه السلام إلى قومه: {فَفَرَحَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا}

٧- وسوسة الشيطان، قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا}

#### أنواع الوحي بالمعنى الشرعي

الوحي في الاصطلاح " كلام الله تعالى المنزل على أحد أنبيائه وقيل: هو ما أنزل الله على أنبيائه وعرفهم به من أنباء الغيب والشرائع "

١- ما يكون منامًا.

وهو أول مراتب الوحي كما جاء في الحديث: "أول ما بدئ به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من الوحي الرؤيا الصالحة -وعند مسلم الصادقة- في النوم، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح الحديث"

ووقع الوحي بالمنام لإبراهيم عليه السلام كما جاء في القرآن عنه قوله: {يَا بَنِيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ، فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ، وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ، قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}

٢- ما كان مكالمة بين العبد وربّه: ومن هذا النوع تكليم الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا}

٣- ما يكون إلهامًا يقذفه الله في قلب نبيه على وجه من العلم الضروري لا يستطيع له دفعًا ولا يجد فيه شكًا، ومنه حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها، ألا فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب"

٤- ما يكون بواسطة أمين الوحي جبريل -عليه السلام- وهذا النوع أشهر الأنواع وأكثرها، وهو المصطلح عليه بـ "الوحي الجلي" و"وحي القرآن كله من هذا القبيل ولم ينزل شيء من القرآن على الرسول -صلى الله عليه وسلم- بغير هذا النوع كالإلهام أو المنام أو التكليم بلا واسطة يدل على هذا قوله تعالى: {وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} وقد ذُكرت هذه الأقسام الأربعة في قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ} وقال الإمام البغوي رحمه الله تعالى في تفسيرها: {وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا} يوحى إليه في المنام أو بالإلهام: {أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ} يُسمعه كلامه ولا يراه كما كلم موسى عليه السلام: {أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا} إما جبريل أو غيره من الملائكة

### كيفية الإنزال والوحي

وفي التنزيل طريقتان أحدهما أن النبي صلى الله عليه وسلم انخلع من صورة البشرية إلى صورة الملكية وأخذه من جبريل والثاني أن الملك انخلع إلى البشرية حتى يأخذه الرسول منه والأول أصعب الحالين

### كيفية وحي الملك إلى الرسول

الحالة الأولى: أن يأتيه مثل صلصلة الجرس

١- أنها الأشد على الرسول -صلى الله عليه وسلم- كما وصفها عليه الصلاة والسلام. فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سألت النبي -صلى الله عليه وسلم- هل تحس

بالوحي؟ فقال: "أسمع صلاصل ثم أسكت عند ذلك، فما من مرة يوحى إلي إلا ظننت أن نفسي تفيض"

- ٢- أنه صلى الله عليه وسلم يعرق عرقاً شديداً في هذه الحالة من الوحي جاء في الحديث "ولقد رأيتُه ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتقصد عرقاً"
- ٣- أن جسمه يتقل ثقلاً شديداً كما روى البيهقي في الدلائل في وصفه للوحي "إن كان ليوحي إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو على ناقته فتضرب على جرانها من ثقل ما يوحى إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وإن كان جبينه ليطف بالعرق في اليوم الشاتي إذ أوحى الله إليه"

الحالة الثانية: أن يأتي جبريل عليه السلام إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- في صورة رجل، كدحية الكلبى أو أعرابي مثلاً فيكلمه كما يكلمه البشر.

الثالث : أَنَّ يَأْتِيَهُ الْمَلَكُ فِي النَّوْمِ وَعَدَّ مِنْ هَذَا قَوْمَ سُورَةِ الْكُوثرِ

الرابع : أَنَّ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِمَّا فِي الْيَقَظَةِ كَمَا فِي لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ أَوْ فِي النَّوْمِ كَمَا فِي حَدِيثِ مُعَاذٍ : "أَتَانِي رَبِّي فَقَالَ : فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى

أدلة وقوع الوحي:

الأدلة على وقوعه وتحققه كثيرة:

١- فمن الكتاب: قوله تعالى: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} وقال عز وجل: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ} وغير ذلك من الآيات.

٢- ومن السنة:

حديث "أول ما بدئ به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من الوحي الرؤيا الصالحة -وفي رواية- الصادقة في المنام ... الحديث

٤ - والدليل العقلي: أن النبوة والرسالة ثابتة بأدلة كثيرة وبراهين عديدة، وثبوت ذلك يقتضي ثبوت الصدق والعصمة للنبي، وقد أخبر الصادق المعصوم بأنه يوحى إليه فيلزم من ذلك ثبوت وقوع الوحي، فكل ما أخبر به الصادق المعصوم فهو حق وثابت، فلا يبقى بعد ذلك شبهة ولا نحوها في إمكانية وقوع الوحي وتكرره وقوعه، والله أعلم.

ادعاءات وافتراءات على ظاهرة الوحي والرد عليها

وقد حرص الجاهليون قديماً وحديثاً على إثارة الشُّبُه في الوحي عنواً واستكباراً، وهي شُبُهٌ واهية مردودة.

١ - زعموا أن القرآن الكريم من عند محمد صلى الله عليه وسلم ابتكر معانيه، وصاغ أسلوبه، وليس وحيًا يُوحَى.

وهذا زعم باطل، فإنه عليه الصلاة والسلام إذا كان يدَّعي لنفسه الزعامة ويتحدى الناس بالمعجزات لتأييد زعامته فلا مصلحة له في أن ينسب ما يتحدى به الناس إلى غيره، وكان في استطاعته أن ينسب القرآن لنفسه

٢ - وزعم الجاهليون قديماً وحديثاً أنه عليه الصلاة والسلام كان له من حدة الذكاء، ونفاذ البصيرة، وقوة الفراسة، وشدة الفطنة، وصفاء النفس، وصدق التأمل، ما يجعله يدرك مقاييس الخير والشر، والحق والباطل، بالإلهام، ويتعرف على خفايا الأمور بالكشف والوحي النفسي، ولا يخرج القرآن عن أن يكون أثرًا للاستنباط العقلي، والإدراك الوجداني عبر عنه محمد بأسلوبه وبيانه

٣ - وزعم الجاهليون قديماً وحديثاً أن محمدًا قد تلقى العلوم القرآنية على يد معلم. وهذا حق، إلا أن المعلم الذي تلقى عنه القرآن هو مَلَكُ الوحي، أما أن يكون له معلم آخر من قومه، أو من غير قومه فلا. إنه عليه الصلاة والسلام قد نشأ أميًا وعاش أميًا، في أمة أمية لم يُعرف فيها أحد يحمل وسام العلم والتعليم، وهذا واقع يشهد به التاريخ، ولا مرية فيه "

٤ - وهكذا كان لظاهرة الوحي عند بعض المستشرقين تفسيرات خاطئة أملاها حقد ودجل وافتراء ، فقد كان الوحي على حد زعمهم أثرًا لنوبات الصرع التي تعترى الرسول الأعظم صلى الله عليه واله وسلم فكان يغيب عن صوابه ، ويسيل منه العرق ، وتعترية التشنجات ، وتخرج من فيه الرغبة ، فإذا أفاق من نوبته ذكر أنه أوحى إليه ، وتلا على المؤمنين به ما يزعم أنه وحي من

ربه ومع ما في هذا الزعم من الكذب المضحك ، والغض المتعمد من منزلة النبي صلى الله عليه

اول واخر ما نزل من القران

هذا بحث تاريخي مداره على النقل والتوقيف، ولا مجال للعقل فيه إلا بالترجيح بين الأدلة، أو الجمع بينها فيما ظاهره التعارض منها، شأنه في ذلك شأن كثير من مباحث علوم القرآن، كعرفة المكي والمدني، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، وغير ذلك.

ولهذا البحث فوائد منها:

١- تمييز الناسخ من المنسوخ، فيما إذا وردت آيتان أو آيات على موضوع واحد، وكان الحكم في إحدى هذه الآيات يغير الحكم في الأخرى.

فقد ترد الآيتان أو الآيات في موضوع واحد، ويختلف الحكم في إحداها عن الأخرى، فإذا عُرِفَ ما نزل أولًا وما نزل آخرًا كان حكم ما نزل آخرًا ناسخًا لحكم ما نزل أولًا

٢- معرفة تاريخ التشريع الإسلامي، ومراقبة سيره التدريجي، والوصول من وراء ذلك إلى حكمة الإسلام وسياسته في أخذه الناس بالهودة والرفق، والبعد بهم عن غوائل الطفرة والعنف، سواء في ذلك هدم ما مردوا عليه من باطل، وبناء ما لم يحيطوا بعلمه من حق

٣- إظهار مدى العناية التي أحيط بها القرآن الكريم حتى عُرِفَ فيه أول ما نزل، وآخر ما نزل، كما عُرِفَ مكيه ومدنيه، وسفريه وحضريه، إلى غير ذلك، ولا ريب أن هذا مظهر من مظاهر الثقة به، ودليل على سلامته من التغيير والتبديل: {لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}

٤- ويضاف إلى هذه الفوائد فائدة أخرى، وهي معرفة الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم، عن طريق ربط أول ما نزل منه بآخره، فإن من ينظر في أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل يعرف الصلة الوثيقة بين آياته كلها في ألفاظها ومعانيها ومراميتها، ويتبين له بوضوح أن أول ما نزل مقدمة تقود الباحث إلى ما في هذا الكتاب العزيز من مقاصد وعبر، وأحكام وحكم

اول ما نزل

ورد في ذلك أقوال أربعة:

القول الأول وهو أصحها: ان اول ما نزل اوائل سورة العلق {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} إلى قوله سبحانه: {عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}

واستدلوا بالحديث " أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حبيب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: اقرأ. قلت: "ما أنا بقارئ". فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني. فقال: اقرأ. قلت: "ما أنا بقارئ". فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ. قلت: "ما أنا بقارئ". فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ}

القول الثاني أن أول ما نزل إطلاقاً: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ}

القول الثالث: أن أول ما نزل هو سورة الفاتحة.

القول الرابع: أن أول ما نزل هو {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

والقول الرابع هو الاول قال الزركشي قال القاضي أبو بكر في الانتصار بعض الاخبار والاحاديث التي استدلت بها اصحاب الاقوال الثلاثة الاخير منقطة وأثبت الأقاويل اقرأ باسم ربك ويليه في القوة يأيها المدثر وطريق الجمع بين الأقاويل أن أول ما نزل من الآيات اقرأ باسم ربك وأول ما نزل من أوامر التبليغ يأيها المدثر وأول ما نزل من السور سورة الفاتحة وهذا كما ورد في الحديث أول ما يحاسب به العبد الصلاة وأول ما يقضى فيه الدماء وجمع بينهما بأن أول ما يحكم فيه من المظالم التي بين العباد الدماء وأول ما يحاسب به العبد من الفرائض البدنية الصلاة



آخر ما نزل من القرآن

اختلف العلماء في تعيين آخر ما نزل من القرآن على الإطلاق واستند كل منهم

إلى آثار ليس فيها حديث مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم. فكان هذا من دواعي الاشتباه وكثرة الخلاف على أقوال شتى:

الأول: أن آخر ما نزل قول الله تعالى في سورة البقرة: {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}

الثاني: أن آخر ما نزل هو قول الله تعالى في سورة البقرة أيضا {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}

الثالث: أن آخر ما نزل آية الدين في سورة البقرة أيضا وهي قوله سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ}

الرابع: أن آخر القرآن نزولا قول الله تعالى في سورة آل عمران: {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ تَكَرَّرَ أَوْ أُنْتَى}

الخامس: أنه آية {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}

السادس: أن آخر آية نزلت {يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ} وهي خاتمة سورة النساء

السابع: أن آخر ما نزل سورة المائدة

الثامن: أن آخر ما نزل هو خاتمة سورة براءة: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ} إلى آخر السورة

التاسع: أن آخر ما نزل هو آخر سورة الكهف: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}

العاشر: أن آخر ما نزل هو سورة {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}

القول الراجح قال الزرقاني " والنفس تستريح إلى أن آخر ما نزل هو قول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ . وذلك لأمرين أحدهما: ما تحمله هذه الآية في طياتها من الإشارة إلى ختام الوحي والدين، بسبب ما تحت عليه من الاستعداد ليوم المعاد وما تنوه به من الرجوع إلى الله واستيفاء الجزاء العادل من غير غبن ولا ظلم وذلك كله أنسب بالختام من آيات الأحكام المذكورة في سياقها. ثانيهما التنصيص في رواية ابن أبي حاتم على أن النبي صلى الله عليه وسلم عاش بعد نزولها تسع ليال فقط ولم تظفر الآيات الأخرى بنص مثله"

### اسرار تنجيم القرآن

لقد شاءت الحكمة الإلهية أن يظل الوحي متجاوبا مع الرسول صلى الله عليه وسلم يعلمه كل يوم شيئا جديداً، ويرشده ويهديه، ويثبته ويزيده اطمئنانا ، فكان مظهر هذا التجاوب، نزوله منجماً "بحسب الحاجة: خمس آيات، وعشر آيات وأكثر وأقل . وقد صح نزول عشر آيات في قصة "الإفك" جملة، وصح نزول عشر آيات من أول "المؤمنين" جملة، وصح نزول {عَبَسَ وَتَوَلَّى أُولِي الضَّرَرِ} وحدها يمكن لنا ان نجمل اهم الاسرار والحكم من نزول القرآن الكريم منجماً اي (مفرقا ) بالنقاط الاتية :

١- تثبيت قلب النبي -صلى الله عليه وسلم، وتسليته ومواساته، ورفع الحرج عنه، وإزالة ما يعتري صدره من ضيق وحزن، وإدخال السرور عليه الفينة بعد الفينة، ومدته بالقوة التي تدفعه إلى المضي في دعوته، وتبليغ رسالته على خير وجه وأكمله، وتهوّن عليه ما يلقاه من قومه من أذى وعنت وصدود، وليدفع عنه شبح اليأس كلما حام حوله، واعترض طريقه، لتظل همته دائماً في الذروة العليا. قال تعالى: { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً } ،وقال ايضا ﴿وَكَلَّا تَقْصُ عَلَيْنَكَ مِنْ أُنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾

٢- ومن أهداف التنجيم أيضاً تيسير حفظ هذا القرآن العظيم على النبي -صلى الله عليه وسلم، وعلى أصحابه، وقد كان أكثرهم لا يقرأ ولا يكتب ولا عهد لهم بمثل هذا الكتاب المعجز، فهو ليس شعراً يسهل عليهم حفظه، ولا نثرًا يشبه كلامهم، يسهل عليهم نقله وتداوله، وإنما هو قول كريم، ثقيل في معانيه ومرامييه، يحتاج المسلم في حفظه وتدبره إلى تربيته وإنعام نظر قال تعالى : ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْتَبٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾

٣- ومن أهم الأهداف التي أُنزلَ من أجلها القرآن مَفْرَقًا "الترج بالأمة في تخليهم عن الرذائل، وتخليهم بالفضائل، والترقي بهم في التشريعات، فلو أنهم أمروا بكل الواجبات، ونُهِوا عن جميع المنكرات دفعة واحدة لشقَّ عليهم، ولضعفتَّ الهمم الصغيرة عن التجاوب والمسايرة.

ومن امثلة التدرج بالأحكام تحريم مظاهر شرب الخمر

فقد نزل في أمرها أول ما نزل قوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا} فوجه أنظار السكارى إلى أن الحرمة إنما تقوم على غلبة الشر، فمهما يكن في الخمر من منافع اقتصادية في المتاجرة بها، ومن منافع ظاهرية في حمرة الخد التي توهم الصحة الحسنة، ومن منافع اجتماعية فيما تدفع إليه من السخاء والجود في حالة السكر والعريضة، أو من الشجاعة التي تبلغ أحيانا حد التهور في ساحة الحرب، فإن إثمها أكبر من نفعها، فتلك علة كافية لتحريمها. فكانت الخطوة الأولى تحريكا للمنطق التشريعي في نفوس المسلمين، ثم تبعتها الخطوة الثانية بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ} فضيق عليهم الفرصة لمزاولة السكر، لأن الصلوات الخمس كانت قد شرعت في أوقات متقاربة لا يكفي ما بينها للإفاقة من نشوة الخمر، حتى إذا أصبحت فرص السكر نادرة بطبيعة الحال حرم الله عليهم الخمر في لهجة قاطعة جازمة فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ} ، فقالوا: انتهينا، وانتهوا حقيقة، وأصبحوا ينتظرون حدود الله في شارب الخمر، ويخجلون أن يصل الأمر بأحد المسلمين إلى أن تقام عليه هذه الحدود. وهكذا تدرج الوحي مع النبي يربيه ويعلمه ويهديه حتى كان خلقه القرآن

٤- نزل القرآن منجماً لمواكبة الحوادث، وهي متجددة متعددة. فكان كلما جدَّ جديد من الأمور الصحية التي تتعلق بمصالح العباد في العاجل والآجل، جاء حكم الله فيها، فيرسخ في النفوس، وتتجاوب معه وترتضيه.

ومن امثلة ذلك حادثة خولة بنت ثعلبة حين ما جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

تشتكي زوجها، وَهِيَ تَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكَلَّ شَبَابِي وَنَثَرْتُ لَهُ بَطْنِي حَتَّى إِذَا كَبُرَتْ سِنِّي وَانْقَطَعَ وَادِّي  
ظَاهَرَ مِنِّي اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ فَمَا بَرِحْتُ حَتَّى نَزَلَ جِبْرَائِيلُ بِهِؤْلَاءِ الْآيَاتِ {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي  
تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ}

٥- الردّ على شبهة المشركين، ودحض حجج المبطلين؛ إحقاقاً للحق، وإبطالاً للباطل، كما قال  
تعالى: {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} .

وفي ذلك لكيدهم في نحرهم أولاً بأول، حتى يتمادوا في غيهم وإضلالهم لضعفاء النفوس منهم، وحتى لا  
يتأثر أحد من المسلمين بأقوالهم، فينعكس ذلك على إيمانه وطاقته لله رب العالمين، والقلوب تحتاج  
دائماً إلى تطهير من الشبهات والوساوس الشيطانية، والهواجس النفسية، فكان القرآن الكريم كفيلاً بذلك  
كله، كما قال -جل شأنه: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا}

٦- وهناك أمر آخر يغفل عنه كثير من أهل العلم في حكمة التنجيم، وهو الدلالة على الإعجاز البياني،  
والتشريعي للقرآن، فإنه -إن كان قد نزل مفزقاً في نحو ثلاث وعشرين سنة، وفي أوقات متباينة، وأحكام  
مختلفة، وحوادث متعددة، قد رُتّب ترتيباً عجباً لا ترى فيه بترّاً، ولا خللاً بين آياته، ولا تناقضاً بين ألفاظه،  
ولا تناقضاً في معانيه، ولا اختلافاً في مقاصده ومراميه. {كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلْتُ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ  
خَبِيرٍ}

٧- الإرشاد إلى مصدر القرآن وأنه كلام الله وحده وأنه لا يمكن أن يكون كلام محمد صلى الله عليه  
وسلم ولا كلام مخلوق سواه. وبيان ذلك. أن القرآن الكريم تقرؤه من أوله إلى آخره فإذا هو محكم السرد  
دقيق السبك متين الأسلوب قوي الاتصال أخذ بعضه برقاب بعض في سورة وآياته وجمله يجري دم  
الإعجاز فيه كله من ألفه إلى يائه كأنه سبيكة واحدة ولا يكاد يوجد بين أجزائه تفكك ولا تخاذل كأنه حلقة  
مفرغة أو كأنه سمط وحيد وعقد فريد يأخذ بالأبصار نظمت حروفه وكلماته ونسقت جملة وآياته وجاء  
آخره مساوقاً لأوله وبدا أوله موافقاً لآخره

فالقرآن الكريم معجز على مستوى الكلمة الواحدة والحرف الواحد وإن كلماته منتقاة في غاية الدقة  
والجمال بحيث لا يمكن أن نستبدل كلمة بكلمة أخرى مهما بلغت الكلمة المستبدلة من دقة وجمال لذلك  
قال ابن عطية "كتاب الله لو نزعته منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد"

